مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 17 العدد 02 السنة 2021/06/05

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

النظام الغذائي لدى السجناء بالغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط

– دراسة تاريخية أنثروبولوجية –

The Prisoners Food System in The Islamic West During The Middle Age - Anthropological Historical Study -

عباس رشيد*

جامعة سيدي بلعباس–الجزائر–

26.1975aq@gmail.com

تاريخ الارسال: 2020/08/20 تاريخ القبول: 2020/09/13

ملخص:

نهدف من خلال هذه الدراسة المتواضعة لملمة شتات موضوع هام على الصعيد الأنثروبولوجي التاريخي لبلاد الغرب الإسلامي، وقد عُدَّ من أهم المواضيع السياسية والاجتماعية والمتمثل في النظام الغذائي للسجناء المعمول به أو السائد في السجون والمعتقلات خلال الفترة المحددة للدراسة. وبالرغم من أن المصادر تعرضت لعدة قضايا تتعلق بالسجن والسجناء فقد أهملت جانبا مهما من حياة السجين متمثلا في غذائه داخل محبسه.

وعليه نسعى من خلال المعلومات التي وفرتها المصادر المختلفة التعرف على أهم المقاربات الأنثروبولوجية للنظم الغذائية التي تعود عليها السجناء خلال حياتهم في السجن، ومحاولة تصنيف أهم الأطعمة والأشربة التي سمح لمعظم للسجناء بتناولها.

كلمات مفتاحية: الغرب الإسلامي – النظام الغذائي – السجن – السجناء – الأطعمة– الأغذية.

Abstract:

We aim through this modest study to address the topic of the prisoners food system which was applied in prisons and detention centers as being one of the important political and social matters in the history of the Islamic West countries on the anthropological level. Although the sources exposed several issues related to prisons and prisoners; they neglected an essential aspect of the prisoner's life inside his lockup.

Therefore, we seek, through the information provided by the various sources, to identify the anthropological approaches of the most important food

* **المؤلف المرسل:** عباس رشيد، **الايميل:** 26.1975aq@gmail.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

systems that prisoners were accustomed to during their life in prison, and try to classify the most important foods and beverages that prisoners were allowed to eat
Keywords: Islamic West - Food System – Prison – Prisoners – Food – foods.

مقدمة:

نحاول من خلال هذه الدراسة الإشارة لموضوع مهم نتناول فيه مقاربة انثربولوجية للنظام الغذائي عند السجناء في بلاد الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، إذ أن المصادر العديدة حَوَت على معلومات كثيرة حول موضوع السجون والسجناء والأسرى وذلك بسبب ارتباط هذا الموضوع بالأحداث التاريخية المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية. لكن بالرغم من ذلك أغفلت معظم المصادر بعض التفاصيل المهمة لحياة هؤلاء السجناء والأسرى داخل غياهب السجون فظلت من الامور المسكوت عنها في بلاد الغرب الاسلامي.

ويُعد النظام الغذائي أحد المواضيع التي غيبت في تاريخ السجناء من عامة الناس أو خاصتهم، اللهم إلا بعض الإشارات التي وردت هنا وهناك، وبالتالي ساد نوع من الغموض والضبابية حول أهم الأطعمة والأغذية التي سمحت بها النظم المعمولة بها داخل هذه السجون. نحاول في هذه الورقة البحثية من خلال النتف المتناثرة في مختلف المصادر استطلاع أحوال النظم الغذائية المعمول بها داخل السجون وتقصي الأطعمة والأشربة التي يمكن أن تحتويها السجون. يدفعنا هذا التقديم البسيط للموضوع إلى طرح التساؤل الآتي: كيف كانت وضعية النظم الغذائية السائدة في سجون بلاد الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط؟

أولا: البعد الأنثروبولوجي في النظم الغذائية

إن مفهوم النظم الغذائية يعبر عن أبعاد أنثروبولوجية ذات صلة بموضوع الغذاء والتغذية ولعل أهم بعد يكمن في جانب التعدد والتنوع الذي يحيل إلى جانب تعدد الرغبات في التَّشهي كلما كثرت الوصفات وتعددت ألوان الأطعمة، وهي تحيل كذلك في جانبها التاريخي إلى مختلف أنواع الأطعمة والأشربة بمختلف ألوانها وأجناسها والتي انتشرت في بلاد الغرب الإسلامي عبر التراتيب الاجتماعية المعروفة خلال العصر الوسيط، وما يرافقها من عادات وتقاليد وأعراف متباينة، وقد أدى هذا إلى تنوع مهم في الموائد والأطباق والأذواق (سعيد بن حمادة، ب ت،ص 1).

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ركزت بعض الآراء المدعومة من بعض الدراسات حول النظم الغذائية على أن هذا الأخير مرتبط بشكل أساسي بتنوع أجناس الأطعمة وألوان الأشربة المختلفة ومعرفة خصائصها المختلفة وانعكاساتها على المستهلك سلبا أو إيجابا. وبقراءة متأنية لحيثيات المعاش اليومي، نجد أنه واقع تحت تأثير عدة مقومات إجتماعية منها العادات والقيم، بحكم أن دراسة النظام الغذائي والمجتمع حسب أحد الباحثين هو " تجربة اجتماعية تداخل فيها السلوك والممارسة والوجدان وغيرها من تجليات أنماط التفكير والإحساس والفعل" (سعيد بن حمادة، ب ت، ص 1).

وأمام تجربة السجن الذي حدَّ من من حرية الشخص في سلوكه ووجدانه وممارساته التي ألفها زمن الحرية، شكل النظام الغذائي أكبر تحدٍّ للسجناء في زيادة معاناتهم وآلامهم اليومية وألزمهم التكيف مع هذا النظام الجديد في حياتهم المقيدة داخل السجون. نقف هنا أمام بعد آخر يعكس خطاب الضيق الذي يعاني منه السجين، والذي يلقي بظلاله حتى على مطعمه ومشربه.

ثانيا: مفهوم السِّجن

1 لغة

السِّجنُ: كلمة مصدرية من أصل كلمة "سَجَنَ " ، تعني الحَبْسُ. ويقال سَجَنَهُ يَسْجُنُهُ سَجْناً أي حَبَسَهُ. والسِّجنُ أي المِحْبِسْ. وجمعها. ويقال رجل سَجِينٌ: أي مَسْجُونٌ وجمعها سُجَنَاءٌ (محمد بن منظور الإفريقي، 1388هـ، ص 203).

2 إصطلاحا

من أبرز العلماء الذين قدموا تعريفات وافية حول كلمة السِّجن ومفهومها الاصطلاحي نجد شيخ الإسلام "تقي الدين ابن تيمية" (ت 728هـ)، والشيخ " أبو بكر الكاساني" (ت 587هـ).

فقول شيخ الإسلام "تقي الدين ابن تيمية" المأثور عن السجن فعرفه بقوله: " تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه "(تقي الدين بن تيمية، 1418هـ، ص 397)، أما الشيخ "أبو بكر الكاساني" فيقول: " منع الشخص من الخروج إلى أشغاله ومهماته الدينية والاجتماعية " (أبو بكر الكاساني، 1328هـ، ص 174).

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

من التحديدين الآنف ذكرهما نجد أن المدلول الاصطلاحي لمفهوم كلمة "السِّجن" يعبر بوضوح عن مدلول المنع وتقييد حركة الفرد وسلبه حريته التي كان يتمتع بها خارج أسوار هذه البنايات العقابية والإصلاحية.

ثالثا: السجون في بلاد الغرب الإسلامي

لقد عرفت بلاد الغرب الإسلامي العديد من السجون والتي كانت مشهورة بنظم إدارتها وتسييرها من طرف الدول المتعاقبة على المنطقة، والتي كانت تعج بنزلائها السجناء المتعلق حبسهم بأحكام الحق العام، والسجناء من ذوي الفعل السياسي (مصطفى نشاط، 2012م، ص 19، ص 25) ، وقد عرفت هذه السجون نظما غذائية أحادية الطابع في التكوين والتركيب تعايش معها مختلف السجناء. ويمكن القول أنها . أي الأغذية- بغض النظر عن بساطة تكوينها إلا أنها شكلت عاملا نفسيا مهما في التخفيف عن السجناء وأنه ينسيهم بعض الوقت وطئة ظروف السجن القاسية، وذلك لحظة تقديم تلك الوجبات البائسة، إذْ يستمتع بها المحظوظون منهم في سد رمقهم وخلق بعض من أجواء الفرحة لديهم. ولا ننسى أن تلك الأغذية والأشربة ظلت المصدر الوحيد والمتنفس الأخير الذي يبقيهم على قيد الحياة ومكابدة ظروف الاعتقال والتأقلم مع المعطيات الجديدة في حياتهم (حياة السجناء) وتعاطيهم مع نظم أغذيتهم مع الحرمان من حرية الإختيار وقد حيل بينهم وما يشتهون من أطعمة في سجون ترتعد لها الفرائس والتي انتشر صيتها في العصر الوسيط نذكر منها:

- سجن مدينة "أغمات": من أشهر نزلائه "المعتمد بن عباد" (431هـ - 488هـ) صاحب "اشبيلية وقرطبة" بعد اعتقاله سنة 484هـ (ابن أبي الزرع الفاسي، 1972م، ص- ص 100، 101). إلى جانب فئات أخرى من السجناء ظبطت وأحظرت من خاضرة "فاس" قد أفسدت بتلك النواحي زمن الأمير "يوسف بن تاشفين" (400هـ – 500هـ) (طارق زروقي، 2019م، ص 207)، وسجن به أيضا ولي عهد الخليفة "عبد المؤمن بن علي " (524هـ -558هـ) بعد خلعه (أبو بكر بن علي البيذق، 1972م، ص28).

- سجن الحاضرة "بجاية": حبس في برجه "علي بن سيد الناس" بتهمة سرقة أموال الدولة سنة 733هـ زمن الدولة الحفصية (عبد الرحمن بن خلدون، 1421هـ، ج6، ص 343).

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

– سجن حاضرة "فاس": من أشهر نزلائه السياسيين نجد الامير الزياني "محمد بن أبي حمو موسى" (796هـ- 801هـ) حيث اعتقله بني مرين وأنزلوه بهذا السجن مدة ثم تم إطلاق سراحه (إسماعبل بن الأحمر، 1962م، ص54)، ونجد أيضا من نزل بهذا السجن "لسان الدين بن الخطيب" (ت776هـ) حيث جرت بين زنازينه فصول ومآس. وهذا الرجل اغتيل بدم بارد مخنوقا، وعبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ) الذي هو الآخر قضى سنتين من عمره نتيجة مؤامرة اتهم فيها بمحاولة التآمر على السلطان المريني " أبو عنان فارس المريني" (748هـ- 759هـ) (عبد الرحمن بن خلدون، 1424هـ، ج7، ص 403).

– سجن حاضرة "مراكش": شهد هذا السجن العديد من السجناء السياسيين حيث حبس فيه أولاد الوزير "أبو محمد عبد الله بن يونس" بأمر من الخليفة الموحدي " ابو حفص المرتضى" (646هـ- 656هـ)، (ابن عذارى المراكشي، 1434هـ، ص 540)، وحَبس فيه أيضا الخليفة "عبد المؤمن بن علي الكومي" (524هـ- 558هـ) "الوزير أبو جعفر القضاعي" (حسن أبو غدة، 1407هـ، ص 304).

– سجن الجزيرة: يقع بمنطقة الجزيرة في الأندلس على نهر "بربط"، حبس به العديد من السجناء كان أشهرهم السجين "ابن الشهيد الأشجعي" في عهد حاجب الأندلس "المنصور محمد ابن أبي عامر" (ت392هـ) (حسن أبو غدة، 1407هـ، ص 304).

رابعا: النظام الغذائي للمساجين والأسرى

تعتبر سلامة السجناء والسجون قاعدة عامة لدى الدول وهذه تقع ضمن مسؤوليتها. فالدول تشرف على تسيير السجون وحفظ أمنها وتحقيق سلامة نازليها. وتاريخيا، كان الخلفاء والسلاطين يشرفون عليها إذ أحدثوا لها جرايات وأموال للإنفاق عليها وإصلاح شأن السجناء فيها. وكان هذا "...ما يقوتهم في إطعامهم وإدامهم وكسوتهم في الشتاء والصيف" (عبد الحي الكتاني، ب ت، ج1، ص300).

يدل هذا الكلام على إلزامية تقديم الأغذية والأطعمة من طرف السلطات الوصية على السجناء و تلبية احتياجاتهم اليومية. وغالبا ما كان هذا متغاضيا عنه الأمر الذي كان يدفع بالسجناء إلى الثورة والاحتجاج نتيجة معاناتهم وحرمانهم ومكابدتهم اليومية للجوع وأوضاره.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ومما يؤكد هذا الأمر، تجربة الطبيب العالم "ابن زهر" أيام محنته وسجنه سنة 524هـ بحاضرة "مراكش" على عهد أمير المسلمين "علي بن يوسف بن تاشفين" (500هـ-537هـ)؛ إذْ عاين هذا الطبيب نزلاء هذا السجن وهم يلقون عنتاً وظنكا كبيرين بسبب الجوع وما يترتب عنه من مضار ومخاطر تظهرها أجسادهم النحيفة وهو ما جعلهم " يتطارحون على أعشاب كانت ما تزال على السقوف يأكلونها وأن ما يأكلون نوعا مذموما من اليتوع وغير ذلك لرفع ألم الجوع". وجراء تلك الأوضاع المزرية الناجمة عن حالة التغذية المزرية والإهمال المتعمد للسجناء وعدم تزويدهم بأقل ما تطلبه نفس كل إنسان من أطعمة لسد الحاجة والبقاء على الحياة. لذلك ، كان يلقى عدد من السجناء حتفهم كل يوم (ابن زهر أبو مروان، 1984م، ص 456، ص459، ص 460).

فهذا الوضع يخالف ما جرت عليه العادات والأحوال ودعت إليه الأعراف والديانات. بل أن الكثير مما كان يفعله الأمراء والحكام إهتمامهم الشديد وعلى غير المألوف ممن كان مميزا بالقوة والذكاء والحيلة من السجناء واستخلاصهم لأنفسهم،حفظا لنظامهم وتمكنا، بواسطتهم، من محكوميهم.

ولعل هذه الوضعية التي كان عليها السجناء تعتبر تهديدا واضحا لحياة السجناء بسبب الإهمال المتعمد من طرف القائمين على هذه السجون. فالسجناء أصبحوا فريسة سهلة للجوع والأمراض الناجمة عنهما، مما يدفع هؤلاء للبحث عن أغذية بديلة في جنبات السجن، فكانت النبتات الفطرية وغيرها ملاذهم الوحيد وإلا كان مصيرهم الحتف والموت.

إن هذه الوضعية لها مآلاتها على عائلات السجناء. فالمكون العام للذاكرة الشعبية لدى تلك العائلات يتمثل في أن أي نظام إنما وجد لغاية إنسانية هي أساسا رفع كل ما من شأنه المس بكرامة الإنسان. لكن الحال التي آلت إليها ظروف السجناء أوجدت تصرفات وسلوكات تتميز بالنفاق والدسائس التي باتت من العوامل والدوافع التي تعجل وتسرع من إحداث الشرخ بل والثورة على الأنظمة. وتاريخ المنطقة غني بالأمثلة التي تؤكد ذلك. لكن لا يجوز التعميم، فقد نجد خلاف ذلك. تذكر كتب التاريخ مسألة سجن قاضي مدينة "ألمرية" وتدخل الأمير آنذاك:

تعتبر مسألة سجن قاضي مدينة "ألمرية" "ابن أسود" بسبب وشايته بـ "محمد بن أحمد بن عريف" (ت 537هـ) وتنكيبه، تعود الأحداث حين أستدعي الشيخ "ابن العريف" من طرف الأمير "علي بن تاشفين" (ت537هـ) ثم تبين له صلاحه فحرره وأكرمه، فاشتد غيض القاضي "ابن أسود"

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

فسممه في أحب طعام عنده وهو الباذنجان فصنع منه طعاما ووضع فيه سما فمات الشيخ "ابن العريف". فعلم بذلك الأمير "علي ابن تاشفين" (ت537هـ) فألقى القبض على القاضي "ابن أسود" وأقسم أن يسمنه ويذيقه المعانات التي أذاقها للشيخ "ابن عريف" (ت537هـ)، ثم أمر بسقيه السم فأشخصه إلى "سوس الأقصى" وأنهى أمره (ابن الزيات التادلي، 1997م، ص- ص 118، 120).

والواقع أننا لا نعلم شيئا عن وضعية القاضي "ابن أسود" في سجنه وعن النظام الغذائي الذي كان يقدم له، وكلمة "لأسمنه" تدل على نمط من الأغذية والأطعمة التي احتفى بها عن غيره من السجناء تمهيدا لتسميمه والتخلص منه.وبمعنى آخر، لم يكن نزلاء السجون على مستوى واحد من المعاملة، وكذا كان طعامهم.

ومن الوقائع الأنثربولوجية التي يمكن ذكرها في هذا المقام مسألة الوزير الموحدي الذي نكب به رغم خدماته؛ فقد اعتبر "عبد السلام ابن محمد الكومي" (ت 555هـ) واحدا من أكبر موظفي الدولة الموحدية المهمين على الإطلاق، وكان وزيرا هاما لدى الخليفة "عبد المؤمن بن علي الكومي" (524هـ-558هـ)، إذ أضطلع بمهام رفيعة بالدولة، ومع ذلك لم يشفع له كل ذلك وتم عزله وسجنه وقتله.

ومع أهمية هذه الشخصية المسجونة، لا تذكر المصادر الأوصاف الدقيقة لذلك النظام الغذائي الذي كان هذا السجين مفردا له في سجنه. ومع ذلك يحق لنا التساؤل إن حدثت محاولات تهريب أطعمة من خارج السجن لتزويده بها في معتقله تليق بنظامه الغذائي الذي تعود عليه في قصره.

وفي هذا الصدد أفصح أحد شيوخ الكومية وتحدث حول الموضوع حسب إفادة ابن صاحب الصلاة قائلا: "كان الخديم الذي يعجن له الخبز الذي يأكله كل يوم عبد السلام يجعل له فيه مقدارا من المحمودة، فيسهل في كل يوم لحمه وينسل عظمه حتى لم يبق فيه إلا عيناه". ثم احتال السجان عليه بطبق " ثرْدة " فيه فروج وطعام وقد وضع له فيه السم، حسب الأوامر التي أُصدرت إليه وقال له: "قد وصل الأمر بسراحك ورغبتي منك أن تجازيني على حسن تلطُّفي بك. فقدم له الطعام والثردة فأكلها وتشعر في الحين بالسم فيها فرمى باللقمة التي كانت في يده في وجه السجان وقال: خد ثردتك أهلكك الله. ومات من ليلته ". (ابن صاحب الصلاة، 1987م، ص 118).

فمن خلال ما ورد في شهادة شيخ الكومية يمكن الجزم بأن الوزير "عبد السلام ابن محمد الكومي" (ت 555هـ) أُطعم من طعام السجن العادي الذي كلف بتحضيره خادم له، متمثلا في الخبز

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

مع الماء الذي يعتبر واحدا من أهم الأشربة داخل السجون والذي لاغنى لهم عنه، حيث أقدم الخادم بتكليف من سلطات السجن حسب ما يبدو على إضافة قدرا معلوما من "المحمودة" في خبزه، وبالتالي عُدَّ هذا الطعام واحدا من أهم نظم الغذاء للوزير في سجنه، مع ما فيه من مضرة على بدنه وصحته إلى أن احتال السجّان عليه بحيلة وسمه في طعام أعده خصيصا لذلك. وفي رواية أخرى أن الوزير قدم له قِدر لبن وسُمِّمَ بواسطته فلما شرب منه لقي حتفه على الفور (ابن ابي الزرع الفاسي، 1972م: 200) (أبو العباس الناصري، 1418هـ، ج2، ص 141).

وفي حادثة اخرى أقدم الخليفة "أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الكومي" (558هـ-580هـ) على سجن "أبي زكرياء ابن حيُّون" شيخ الكومية وبابنه "عليّ" مشرفَ مدينة "تلمسان" سنة 579هـ، وكان كل يوم يخرج مكبلا ليحاسب على أعماله (ابن عذارى المراكشي، 1434هـ، ج3، ص- ص 256، 257). وفي يوم السبت 25 شوال من نفس السنة، تمكن "عليّ بن حيُّون الكُوميّ" بمساعدة بني عمومته من التحايل على حراسه والفرار من السجن بحاضرة "مراكش"، بعد أن سقوهم خمرا إلى أن تمكن منهم السُكْرُ (ابن عذارى المراكشي، 1434هـ، ج3، ص 259).

فمن خلال هذه الشهادة التي أوردها ابن عذارى المراكشي في كتابه يمكننا القول أن بعضا من حراس السجن كانوا من شاربي ومعاقري الخمر في حياتهم اليومية وهي واحدة من الأشربة التي يحبذونها في نظمهم الغذائية. وإلا ما كانوا ليشربوها حين قدمت لهم، وهذا يعتبر دليلا آخر على انتشار الخمور في السجون وتعاطيها على الأقل من طرف حراس السجون.هذا من جهة ،ومن ناحية أخرى تشير هذه الحادثة إلى أمرين اثنين وهما: تجاوز الحكام لكامل الاعراف والقيم التي تحكم الناس بعضهم بعضا وبخاصة الدين الإسلامي السائد في البلاد والذي هو دين أمر بمعروف ونهي عن منكر، وهذايعزز الأمر الثاني؛ فقدان الساكنة لكل ثقة بمسؤوليهم وسقوطهم فيما يُنسي ولو للحظة صعوبات الحياة وما يتلقونه من ظلم وجور من قبل الحكام.وهذا ملا يرضاه كل عفيف وعزيز.

وقد عُرف عن بعض سلاطين بلاد الغرب الإسلامي اهتمامهم بأحوال السجون والسجناء، وذلك بالوقوف على تحسين الأوضاع داخل السجن والرفق بالسجناء، وتزويدهم باللباس والغذاء والماء الضروري كصدقات توزع عليهم. وسار على هذا النهج الخليفة الموحدي "يعقوب ابن يوسف بن عبد المؤمن" (580هـ-595هـ) الذي كرس هذا الفعل الخير. فقد عرف عنه حرصه واهتمامه بتفقد أحوال

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

السجناء والإحسان إليهم وتوزيع الصدقات عليهم بدون استثناء. وبسبب إهمال معاونيه هذا الجانب، أقدم على زجِّ القاضي "محمد بن علي مروان بن جبل الهمذاني" (ت611هـ) في غياهب السجن، وهذا حين قَصَّر في أداء مهمة تفقد أحوال المسجونين وتقديم الصدقات إليهم التي أمر بها الخليفة. ولقد كان، كلما سأله عن أحوال السجناء يقدم له مغالطات وأوهام عن صلاح حالهم، إلى أن كُشف أمره في إحدى الليالي.

حيث تفيد شهادة عبد الملك المراكشي التي أوردها في كتابه قوله: "فلما كان في بعض الأسحار سمع ضجَّة عظيمة، فسأل عنها، فأخبر بأنه صياح المسجونين واستغاثتهم". فأرسل الخليفة من يحقق في أمرهم، فأخبر بأن المسجونين في جهد شديد قد هلكوا جوعا وبرداً. فأمر الخليفة بإصلاح أمورهم والوقوف عليها (ابن عبد الملك المراكشي، 2012م، م5، ص 237).

وهذا دليل على أن الكثير من السجناء قضوا جوعا وبردا بسبب الإهمال والنقص الشديد في الأغذية والأطعمة المقدمة إليهم، بل كانت تمضي عليهم أيام وليالي لا يجدون ما يقتاتون به، إلى جانب استبداد القاضي بصدقاتهم وعدم صرفها حيث أُمر بها.

وهذا السلطان المريني "أبو عنان فارس إبن أبي الحسن" (748هـ-759هـ) هو الآخر لم يغفل عن متابعة أحوال السجناء لديه، فيعمد لتتبع شؤونهم ويصلح أمورهم ويقف على نظام غذائهم ويحرص تقديم الطعام والغذاء لهم، ويأمر بإخراج الصدقات وتوزيعها بشكل دوري عليهم أهمها الأطعمة والأغذية، والتي كانت تتمثل في شكل "خبز مخبوزا متيسرا للجميع ينتفعون به" (شمس الدين محمد الطنجي، 1417هـ، ج4، ص 199).

وأثناء الصراع السياسي في أواخر الدولة الموحدية بين الأميرين "أبو دبوس" و "المرتضى"، تم أسر هذا الأخير وتحفظ عليه مع أبنائه في منطقة "دويرة الصغيرة"، وسجن قرب دار الوالي "أبو الحسن القرطبي" حيث أقدم هذا الوالي على تقديم الطعام المخصص له للأمير وأهله طيلة الفترة التي بقي فيها معتقلا لديه. لكن المصدر ذاته للأسف لا يمدنا بمعلومات كافية حول أصناف الطعام التي يعتقد أنها قدمت للأمير المعتقل وأهل بيته (ابن عذارى المراكشي، 1434هـ، ص 580).

إن هذه الحالات التي أُشير إليها تدل على لجوء الكثير من الأشخاص، عامة كانوا أو من الخاصة،إلى تجاوز أوضاعهم الاجتماعية التي كانوا يحتلونها في السلَّم الاجتماعي وإلى الإتيان بما يخالف

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الوضع المراد من قبل الجهات الفاعلة الحاكمة وطقوسة التي وضعوها للتحكم في أي من الناس ومهما كانت منزلته.

ولعل هذا الوضع كان يأتيه حتى الأمراء والسلاطين وكيف أن البسطاء من الناس كانوا يخالفونهم سلوكا وضمائر ؛ ففي كثير من الحالات تشهد السجون اكتظاظا مما يلزم السلطات القائمة عليها بتحويل بعض المرافق مثل الفنادق إلى سجون مؤقتة (مصطفى النشاط، 2012م، ص 79). إلا أن هذه السلطات تتعمد إهمال تقديم الوجبات الغذائية لهؤلاء المساجين وتحرمهم من أبسط الأغذية وتحرمهم مياه الشرب. لقد اقتيد جماعة من أهل جزيرة "مَنُرْقَة" حيث "أخليت لهم الفنادق وسدت أبوابها دون الناس وتركوا يموتون جوعا". فالتجأ الناس إلى الشيخ "يحي بن محمد أبو الحسين" (ت600هـ) وأخبروه وقالوا: "جماعة من المسلمين بين أظهرنا يموتون جوعا". فتمكن من فتح أبواب الفنادق للناس ليتمكنوا من مواساة المساجين وإطعامهم بما في أيديهم من أطعمة وماء (ابن عبد الملك المراكشي، 2012م، ص- ص 330، 332).

وأثناء مراحل الصراع الزياني المريني المرير تم أسر الأمير الزياني "عثمان بن عبد الرحمن بن يحي بن يغمراسن" (703هـ- 753هـ) عقب معركة "أنجاد"، وسجن في محبسه حيث امتنع عن تناول الأطعمة المقدمة له التي كانت تقدم إليه أثناء مكوثه في سجنه، مؤثرا الموت على حياة الذُلِّ التي آل إليها وضعه في سجنه (ابن الأحمر، 2000م، ص- ص 74،75). فالحادثة هذه إن لم تذكر النظام الغذائي المتبع والمقدم للسجين، إلا أنه على الأقل كانت هناك وجبات مقدمة للسجناء في أوقات معلومة.

وكثيرا ما أشفق السجانون على السجناء بسبب معاناتهم وآلام الجوع التي تفتك بأرواحهم؛ فقد تم سجن جماعة في حاضرة "غرناطة" من طرف السلطان "النصري ابو عبد الله محمد" (725هـ- 733هـ) في سجن يسمى "المطبق" ومنع عنه الماء والغذاء الضروري، وفتك بهم الجوع واحدا تلو الآخر وتعالت أصواتهم صراخا حتى انقطعت تلك الأصوات وأصبحت أنينا مع طول المدة التي قضوها في السجن دون طعام ولا وماء. ويصف ذلك لسان الدين ابن الخطيب بقوله: "فمكثوا أياما وصارت أصواتهم تعلو بشكوى الجوع، حتى خفتت ضعفا بعد أن اقتات آخرهم موتا من لحم من سبقه." فأشفق أحد السجانين لحالهم ، فقدم لهم القليل من أرغفة الخبز، فذبح السجان بسبب إطعامه لهؤلاء السجناء (لسان الدين ابن الخطيب، 1973م، ص- ص 547، 548). لقد كانت مأساة في حق هؤلاء

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

المحبوسين الذين حرموا أبسط الأشياء وهو حق التغذي بأبسط نظام غذائي متمثل في الخبز والماء، بل كانت اللحوم البشرية البديل للتغذية لمقاومة جوع من بقي منهم على قيد الحياة.

ومن النوازل التي لها علاقة بأطعمة وأغذية السجناء نجد نازلة للونشريسي حول عجين دقيق أعد لتجهيز الخبز منه، إلا أنه تبيَّن للخباز أن الماء الذي عجن منه الخبز سقطت فيه فأرة وهذا في زمن قحط، فأوصى ببيع ذلك الخبز بثمن بخس ويصرف على السجناء (أبو العباس الونشريسي، 1401هـ، ج1، ص 18). ولا يستبعد أن يعطى من ذلك الخبز للسجناء خاصة إذا كان الزمن هو زمن قحط، وذلك ليسدوا به رمقهم.

وفي نازلة مشابهة لها نوعا ما نجد نموذجا حول واقع النظم الغذائية في السجون. فهذا الشيخ "ابو عمرو هاشم مسرور" كان صاحب فرن في مدينة "القيروان" على زمن الأغالبة، شكى إليه أهل السجن برسالة وجهوها له فقال الشيخ:

" كتب إلي أهل السجن رقعة يذكرون لي فيها ما هم فيه من الجوع والضيق وسوء الحال". وكان الشيخ في ضيق من الحال، فباع مهراسا من نحاس بثلاثة دنانير، ثم اشترى قمحا. يقول: "اشتريت لهم قمحا وعملته خبزا ومضيت به إلى السجن وفرقته عليهم" (أبو بكر المالكي، 1403هـ، ص- ص 148، 149).

إن الحالات التي ورد ذكرها تبين لكل متأمل ذلك التناقض الذي كان يتواجد بين أفراد الطبقة الحاكمة نفسها؛ فكان منها ما يوافق ما هو موجود من قيم وأعراف وما تأخذ به الجماعات ومنها ما يتماشى وأهوائه ورغباته وسعيه للسيطرة على محكوميه بأية طريقة كانت والتناقض مع الأفراد المحكومين الذين كما يستخلص من الاستشهادات كانوا يسعون إلى التخفيف عن أولائك المسجونين إما بتقديم المعونة لهم بأنفسهم وما يترتب عن ذلك من مخاطر أو أنهم كانوا يطلبون ممن كان لهم بعض السماع أو الاحترام فيقدمونهم على أنهم ملاذهم وحلهم لمن كانوا يشتكون من ظلم السجون.

ومن المعلوم يعتبر الماء المجلوب لشرب السجناء واحدا من أساسيات الحياة لديهم. فقد أفادنا الونشريسي بنازلة حول ذات الموضوع، جاء فيها أن شخصا أوصى الوصي بجزء من ماله لجلب الماء العذب يُخصص لشرب السجناء. وهذا يعطينا فكرة حول نوعية مياه الشرب المستعملة في السجون من طرف نزلائه، إذ لا يستبعد أن يكون الماء المقدم للسجناء والموقوفين من طرف أعوان السجن ماء لا يرقى

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

للمستوى المطلوب ويمكن أن يكون ماء عكراً نتيجة للظروف المحيطة بالسجناء (أبو العباس الونشريسي، 1401هـ، ج9، ص 534).

ويعتبر السبي في حكم السجين تقريبا فهو مسلوب الحرية؛ تشير إحدى النوازل أن أحد الموصين أوصى بإعطاء لبن بقرته وتصدق به على مجموعة من السبي (أبو العباس الونشريسي، 1401هـ، ج7، ص 76).

والملفت للانتباه أن معظم الأغذية التي قدمت للسجناء تمثلت في مياه الشرب والخبز، وهي متفاوتة في درجة نوعيتها وصلاحية استهلاكها. ويبدو أن الخبز والماء فقط كانا هما اللذان يسمحان بإدخالهما إلى السجون دون الأغذية الأخرى.

وقد دأب أهل الصلاح على مذهب مغاير في تهذيب النفس كلما شعروا بجموحها نحو الملذات أو ركونها للدنيا، فيعمدون إلى تأديب أنفسهم بشتى الطرق. ومن بين تلك الطرق حبس أنفسهم بعيدا عن العامة مع تكبيل وحرمان نفوسهم من الملذات وقهرها. وهذا يعد نوعا من السجون في نظرنا؛ فهذا الشيخ "أبو محمد عبد الحميد ابن صالح" نازعته نفسه فوضع الحديد في رجله، وحبس نفسه في دار له قرب حاضرة "فاس"، ودفع لأحد ثقاته من رفقائه درهما على أن يوافيه كل يوم بخبزة من عند الخباز، فكان كل يوم يوافيه برغيف من الخبز لمدة ثمانية وعشرون يوما. ولما تفقده في ذلك اليوم، إذ به يعثر على تلك الأرغفة من الخبز كاملة مرمية في زاوية الغرفة، فعلم أن الشيخ لم يكن يتناولها طيلة تلك المدة، فلم يزل به يواسيه ويترجاه حتى أطعمه (ابن الزيات التادلي، 1997م، ص 198).

خاتمة:

تبقى هذه محاولة لتسليط الضوء على واقع أنثربولوجي موضوعه النظام الغذائي للسجناء والمحبوسين بالغرب الاسلامي، وهي محاولة متواضعة جدا. فإلى جانب قلة المصادر حاولنا ملامسة هذا الموضوع الشائك من كل جوانبه، ومع ذلك لازالت بعض التساؤلات الغامضة حول النظم الغذائية لدى السجناء بالغرب الاسلامي تنتظر الإجابة عليها.

إن معظم الأغذية التي قدمت للسجناء من داخل السجن أو من خارجه تمثلت في مياه الشرب وأرغفة الخبز، وهي متفاوتة في درجة نوعيتها وصلاحية استهلاكها. ويبدو أن النظام الغذائي للسجون كان قائما بالأساس على الخبز والماء في معظمه حيث سمح بإدخالهما إلى السجون دون الأغذية الأخرى.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

إن النظام الغذائي للسجناء تسبب في حرمان السجناء من ألوان الطعام والغذاء المتنوع وتم اقتصاره على لون واحد فقط وبسيط في تكوينه، وهو ما يفهم على أنه كان نظام سياسة ممنهجة في معاقبة المساجين والمعمول بها داخل سجون الغرب الإسلامي.

معظم النظم الغذائية المرفهة من قبيل الاطعمة والاغذية التي لم يدرج السجناء على تناولها في السجون استعملت لغرض التصفية الجسدية للتخلص من الخصوم السياسيين من السجناء، وذلك كسبا لثقة الضحية ومن ثم استدراجه وتسميمه والتخلص منه.

قائمة المصادر والمراجع:

أ– المصادر:

1 –ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تح: هاني سلامة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 2000م.

2 –ابن الأحمر إسماعيل، روضة النسرين في دولة بني مرين، مطبعة الملكية، الرباط، 1962م.

3 –ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: عنان محمد عبد الله، القاهرة، 1973م.

4 –الإفريقي محمد بن منظور ، لسان العرب، ج 13، دار الصادر، بيروت، 1388هـ.

5 –ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة – تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين–، تح: عبد الهادي التازي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م.

6 –ابن تيمية تقي الدين، مجموع فتاوى ابن تيمية، تح: عامر الجزّاروآخرون، ج، ط1، دار البقاء للطباعة والنشر، المنصورة، 1418هـ.

7 –أبو بكر الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، تح: على محمد معّوض وآخرون، ج7، المطبعة الجمالية، مصر، 1328هـ.

8 –ابن خلدون عبد الرحمن، ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي شأن الأكبر، تح: سهيل زكار، ج6، ج7، دار الفكر، بيروت، 1421هـ.

9 –البيذق أبو بكر بن علي، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور، الرباط، 1971م.

10 – ابو مروان بن زهر، كتاب التيسير في المداواة والتدبير، تح: محمد بن عبد الله الروداني، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1984م.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

11 – التادلي ابن الزيات، التشوف إلى أهل التصوف، تح: أحمد توفيق، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 1997م.

12 – الفاسي ابن ابي الزرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور لطباعة و الوراقة، الرباط، 1972م.

13 – الطنجي شمس الدين محمد، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار–رحلة ابن بطوطة–، تح: عبد الهادي التازي، ج4، أكادمية المملكة المغربية، الرباط، 1417هـ.

14 – المالكي أبو بكر، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، تح: بشير البكوش وآخرون، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1403هـ.

15 – المراكشي ابن عبد الملك، كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، م5، ط1، تح: إحسان عباس وآخرون، دار الغرب الإسلامي تونس، 2012م.

16 – المراكشي ابن عذارى، البيان المغرب في إختصار أخبار ملوك الاندلس والمغرب، ج3، تح: بشار عواد معروف وآخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1434هـ.

17 – الناصري أبو العباس، كتاب الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2، تح: جعفر الناصري وآخرون، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418هـ.

18 – الونشريسي أبو العباس، المعيار المعرب وجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تح: محمد حجي وآخرون، ط1، ج1، ج 9، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ.

ب– المراجع:

1 –أبو غدة حسن، أحكام السجن ومعاملة السجناء في الإسلام، ط1، مكتبة ، المنار، الكويت، 1407هـ.

2 –الكتاني عبد الحي، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت.

3 –نشاط مصطفى، السجن والسجناء نماذج من تاريخ المغرب الوسيط، مطابع أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2012م.

ج– الدوريات:

1 –بنحمادة سعيد، النظام الغذائي بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط – دراسات في سوسيولوجيا الأحكام والقيم والعوائد–، مجلة شرفات، ع: 77، دار النشر الزمان، ب ت.

2 –زروفي طارق، جغرافية السجون بالغرب الاسلامي نماذج من المغرب العصر الوسيط، المجلة المغربية للعلوم الإجتماعية والانسانية، ع: 8، 2019م.